PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(5): 1037-1049
ISSN:1553-6939

Speech socialization, social applications of oral discourse in the local urban space

Boudouaya Mokhtar[1], Ramdani Hocine[2]

[1]Laboratory of Philosophical Studies of Human and Community Issues in Algeria, University Ibn Khaldoun, Tiaret, Algeria, E-mail: Mokhtar.boudouaya@univ-Tiaret.dz

[2]Laboratory of Philosophical Studies of Human and Community Issues in Algeria, University Ibn Khaldoun, Tiaret, Algeria, E-mail: hocine.ramdani@univ-tiaret.dz

Received: 05/2024, Published: 06/2024

Abstract:

with the aim of punishing the reference to the linguistic templates and publishing them in order to educate idividuals and urge them to specifc behaviors and investigations. Most of the viguese texts have a security clause that seeks them in the substitutes and that the purpose; of which is survival and a surah from now and expectations that protect the matter. This saying is an inherited historical one that is seen as always honest, not's verbal contribution to the production of meanings about the self, replied in order to pervent the hand at night and enable in to contradict the social and collective.

Understanding, the purpose of this article is to indicate that the verbal texts farshid on the relationel aspect, related to the fifty-year-old (hash presented his drawings and an affectionate).

Keywords: oral, language, values, relationships, social.

التنشئة بالكلمة؛ الاستخدام الاجتماعي للشفويات في الوسط المحلي

بودواية مختار[1]، رمضاني حسين[2]

[1]مخبر الدراسات الفلسفية وقضايا الانسان والمجتمع في الجزائر، جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، البريد الالكتروني: Mokhtar.boudouaya@univ-Tiaret.dz

[2]مخبر الدراسات الفلسفية وقضايا الانسان والمجتمع في الجزائر، جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، البريد الالكتروني: hocine.ramdani@univ-tiaret.dz

الملخص:

الغاية من المقال البحث في ظاهرة تداول القوالب اللغوية وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية للأفراد إذ يتم حثهم من خلالها على الالتزام بسلوكيات واستجابات محددة، فالمتون الشفوية المتداولة ذات صيغة أمرية تستخدم في التواصل ''اليومي'' كمنبهات لبناء تصور حول الذات وتوقعات نحو الآخر؛ القوالب اللغوية متوارثة؛ لا يرقى إليها الشك حسب متداوليها وهي تسهم في إنتاج معاني عن ''الذات، الأنا والآخر'' يمكن أن تخضع للتحليل ويمكن من خلالها فهم الاجتماعي. الغاية من هذا المقال فهم آلية اشتغال المتون الشفهية وطبيعة استخداماتها فهي ترتبط بالجانب العلائقي (العلاقات بين الأفراد) ترتبط بالديني (إذ تقدم تفسيرات ورؤية ذات طابع خاص) وترتبط بمحددات أخرى مثل الجسد والجسدية والنوع الاجتماعي نسعى لتحليلها تفسيرها وفهمها كما هي موجودة في المجتمع المحلي.

الكلمات المفتاحية: التنشئة، الشفوية، اللغة، القيم، العلاقات، الاجتماعي.

1- مقدمة :

توفر المتون على اختلافها معطيات قابلة للتحليل وهي على علاقة بمعرفة شاملة، تعتبر كإنتاج فكري ذو حمولة واسعة، تقدم رؤية عن الواقع، تمثل نموذج مرجعي للأفراد، للأنا وللآخرين، يضمن من خلالها المرسل "التموقع" الغاية منها التعريف بالهُوية، تُقدم على أنها أطروحات لغوية متراكمة تجسد أشكال السلطة وأنواع الهيمنة الموجودة. تمكن الباحث من إدراك لعبة الفاعلين، لتجعلها قابلة للظهور والتجلي؛ إن الاهتمام بالمتون الشفهية هو اهتمام باللغة فالباحث يهتم بأكثر من الاستعمال اللغوي إذ ينظر إليها على أنها وسائل رمزية، تبين تصورات الأفراد للعالم يسمح لنا تحليلها بالولوج إلى قضايا ومواضيع كالتمثل، السلطة، الأسس الثقافية للتنشئة، وطرق التأهيل اللغوي للأفراد بالوسط المحلي؛ اللغة الشفوية المستخدمة تتعالق مع الأداء الطقسي وأشكال المعرفة؛ تستخدم المتون الشفوية (الأمثال، القصص والأساطير) كنظام للوصف والتصنيف، وهي على علاقة بالتصرورات حول العالم وطرق التواصل معه، نحن أمام تبادل رمزي "تم تصميمه مسبقا قبل وجود الأفراد المستخدمين لها" (دورانتي، 2013، صفحة 26) على الرغم من التغيرات الجذرية الهيكلية التي مست البناء الاجتماعي والتحولات العميقة التي أثرت على المحلي إلا أنها متداولة نسعى في هذا المقال إلى فهمها وفهم علاقتها بالتنشئة الاجتماعية على اعتبار أن المتن موجه دوما من مرسل إلى مرسل إليه للحث على الالتزام بسلوكيات محددة.

1- الشفوية:

"حسب لاكوست دي جاردان هي "كل التعابير غير المكتوبة التي ينتجها الفرد من أي جماعة كانت ولها شكل معين وقد أنتجت لكي تتكرر وتنتقل داخل وسط، حقل أو داخل نفس الجماعة التي أنتجتها وتكون بالتالي جزء من ثقافتها" (شابحة، صفحة 08) المتون الشفهية على اختلافها (أمثال، أشعار، قصص وأساطير) تعتبر كوحدات لغوية ذات طاقة تعبيرية إيحائية وجدانية تستخدم في التواصل اليومي؛ من خلال الشفوية يمكن فهم المعاني، الدلالات والثقافة؛ الثقافة ككل هذه الأخيرة "تقرأ كما يقرأ النص، والثقافة بما هي نص تتألف من الرموز كنواقل للمعنى" (سرحت، 2017 ، صفحة 43) يمكن إخضاعها للتحليل للوصول إلى دلالاتها، كل هذا من خلال تلقف وفهم وتحليل سياقات استخدامها أي ‘‘سياق الحال’’ يمكن تجاوز جانبها الجمالي أي "تداعياتها الفونولوجية والخطية" (كوهن، يناير 2013) لصالح جانب آخر هو جانب الدلالة لارتباطها بالاجتماعي في مستوياته الفردية والجمعية والسلوك.

الأفراد بالوسط المحلي يتقاسمون نفس المتون مهيؤون مسبقا للتعامل معها يستجيبون لها ولقوة الإثارة الانفعالية الكامنة بها مما يعطيها قوة في التأثير في المتلقي عاطفيا ووجدانيا. يهيمن على المتون أسلوب يعتمد على خصوصيات مفارقة للاستخدام اللغوي العادي واليومي إذ نسجل نزوعها مثلا إلى الخوارق؛ يلجأ المنتج لها إلى استدعاء غير المعتاد، الغريب؛ بالإضافة إلى عناصر سحرية أسطورية. تعتمد المتون على المحاكاة، قصد بناء تصور جديد مفارق للعالم الاجتماعي وهي مبنية على الاختلاف مع الواقع قصد بناء واقع لغوي قد يبدوا متناقضا منافيا للعقل، نحن أمام محاولة "هدم وبناء من خلال الاستدعاء للتراكيب وإحلال معنى ثان وجداني وعاطفي" (كوهن، يناير 2013، صفحة 30) والغاية هي ربط الأفراد بنماذج متشابهة موجودة على مستوى اللغة وخلق اتفاق ضمني بين المرسل والمرسل إليه لدعم المعايير–القيم المتعارف عليها والاسهام في تنشئة الأفراد وتحفيزهم من خلال ‘‘الكلمة’’. كلا من المرسل والمرسل إلية ينظر إليهم على أنهم ‘‘متكلمون’’ ينتمون إلى تنظيمات ومؤسسات وشبكات واسعة؛ تستخدم لغة شفوية بغية تحفيز الآخر؛ نلاحظ في المجتمع المحلي إعطاء قوة للكلمة والاعتقاد بأن لها قدرة إنجازية وهو ما تجسده الأمثال التالية متداولة بكثرة؛ (الكْلاَمْ رْصَاصْ فِيْهْ الفَضَةْ وْفِيهْ النْحَاسْ؛ لاَ تْسَرَجْ قْبَلْ مَا تْلَجَمْ وَعْقُدْ عُقْدَةْ صْحِيْحَة لاَ تْخَمَمْ قْبَلْ مَا تَتْكَلَمْ لَاْ تَصْرَالَكْ فْضِيْحَةْ، الكْلاَمْ الزِيْنْ يُغْدَىْ مْعَ الدِيَةْ؛ الكِلْمَةْ كَلْمَةْ رْجَالْ؛ اللسَان الحلُوا يرضَع اللبِيَة؛ الكَلمَة رَاس مَال؛ الصَمت حَكمَة وَتتفَرَع مَنَه الحكَايَم لُو مَا نطَق وَلد الحَجلَة مَا يجِي وَلد اللَّفعَة هَايَم...الخ).

المتون الشفوية عبارة عن خطاب؛ يرى فوكو بأنها "أكبر من سلسلة أفعال كلامية عادية، هي عبارة عن تنظيم لمعرفة من خلال ‘‘الكلام’’ إذ تتم الاستعانة بموارد وممارسات وإشارات دلالية" (دورانتي، 2013، صفحة 38) إذا ما رجعنا إلى محددات مثل المتن، السياق طبيعة الاستعمالات ونطاق المشاركين أو الفئة المستهدفة من التواصل وزمن ومكان التلفظ نلاحظ أن ‘‘الكلام’’ "يعمل من أجل التنظيم والسيطرة على الحياة الخاصة والعامة لأفراد المجتمع، بما في ذلك مفهومهم لأنفسهم، ولهويتهم الاثنية، وللعلاقات بين الجنسين" (دورانتي، 2013، الصفحات 38–39) يرى أليساندرو دورانتي بأن اللغة هي دليل إلى الحياة الاجتماعية، لأنها تمنعنا من التصرف بطريقة ما؛ أي أنها تقترح علينا وتجهزنا بطرق بديلة في علاقتنا مع الأشياء والناس" (دورانتي، 2013، صفحة 86) تزود اللغة الشفوية الأفراد بالعموميات والخصوصيات وببدائل سلوكية يمكن انتهاجها.

يؤمن الأفراد في المجتمع المحلي بقوة ‘‘الكلمة’’ إلى الحد الذي يجعل منها تسهم في إعادة تشكيل وضع ما من خلال نقل لمعرفة أو لخبرات وتمثلات؛ "الممارسات اللغوية تشجع على تأسيس وامتدادية رؤى متجانسة

للثقافة، تزودنا اللغات برؤى عامة يتم تقبلها دون جدل، فنتكلم عن الآخر–الآخرين كأنهم مجموعات وذوات واحدة متراصة، ...اللغة ليست نظاما للتصنيف فقط، بل أيضا ممارسة، طريقة تسمح بأخذ وإعطاء ما نريد من وإلى العالم، مع قرارات قد اتخذت من قبل بخصوص وجهات النظر والتصنيف." (دورانتي، 2013، صفحة 70) فاللغة الشفوية تتدخل وتتوسط بين جل الخطابات الموجودة لتخلق وتصنع مساحات ومسافات اجتماعية بين الأفراد حسب السن، الجنس والانتماء السلالي والجغرافي.

2– المتون الشفوية والسلوك:

نلاحظ بأن استعمالات المتون الغاية منه التوجيه، توجيه السلوكيات، فالأمثال والأساطير والحكايات الشعبية تتضمن في الغالب صيغ الأمر، النهي، التحذير، الاستفهام، الالتماس والنصيحة، الغاية منها التأثير في الأفراد وحثهم على الفعل، أي أننا أمام إنتاج لدلالات لغوية ثم تأكيدها في الواقع. لتوجيه السلوك نحو مقاصد وغايات نهائية يراها المنتج للمتن، أغلبية المتون تم انتاجها من قبل عارفين، مجربين في نظر الأفراد وهو ما يعطيها سلطة اعتبارية وقوة في المجتمع المحلي؛ هناك إجماع على أنها: "كْلاَمْ مْجَرْبِينْ، أَلْوَالاَ مَاْ غَلطُوشْ وَكْلاَمْهُمْ صْوَابْ؛ أَمَاْ كْلاَمْنَاْ حْنَاْ خْطَاْ وَصْوَابْ... هَاذَاكْ كْلاَمْ السَادَاتْ وَكْلاَمْهُمْ مَاْ يَتْمَلْ مَاْ يْحُوْلْ مَاْ يْزُوْلْ".

تمتلك الجمل بعدا تحفيزيا وهي مؤسسة –حسب اعتقاد الأفراد– على التجربة. المتن عبارة عن تعبير انفعالي يقوم على إستراتجية التحفيز (Motivation) يوجه السلوك والفعل نحو هدف ذو جدوى، يعتبر كاستجابة لحاجة، يضمن للأفراد الوصول إلى المعلومات؛ 'الكلمة'' هي التي تحمل المعنى والمحتوى ضمن سياق محدد، وهي عبارة عن معطيات تمثيلية للعالم الخارجي، ''الكلمة'' ناتجة عن التفاعل بين الأشخاص أو المجموعات أو بين مشاركين يسعون إلى المحافظة على استقرار النظام وتوازنه.

المتون الشفهية عبارة عن وحدات خطية مركبة، منتظمة ذات دلالة، تحمل في بنيتها الظاهرة تضاد بين مقطعين سابق ولاحق وهي على علاقة بمعنى واقعي ومجرد، لكنها في الحقيقة تضاد بين سلوك مرغوب وآخر غير مرغوب يسعى منتجها لامتلاك الواقع والتعبير عنه، ويسعى لإقامة علاقة مع الاجتماعي في مستوياته الفردية والجمعية؛ أي الإحالة إلى واقع خارج اللغة ذاتها لذا فالمنتج للقوالب اللغوية يستند للذاكرة الجمعية المحلية. نحن أمام خطاب يسعى لامتلاك الشرعية (شرعية الفعل وشرعية السلوك) نلاحظ مثلا في كل استخدام اجتماعي للغة استعمال لصيغ محددة للإبقاء على حد أدنى من التفاعل، الانسجام والتوازن من أجل توفير مستوى علائقي بين طرفي عملية التواصلية وخلق وضعيات حميمية مألوفة، تقابلها وضعيات أخرى تدل على مسافات اجتماعية غير مرغوبة وهو ما يجده الأمثال التالية (خُوْكْ خَوْكْ لاَ يْغُرُكْ صَاحْبَكْ تقابلها أمثال أخرى

مثل؛ الصَاحَبْ سَاَحَبْ؛ كَثْرَة لَصحَاب وَلاَ حَد يَنصَاب؛ بَابُور عَشرَ يَغرَق؛ عرَف مَن تصَاحَب لَجرَب حَكَاكَ وَالخَايَن شَكَّاك؛ الجُرب يَعدِيْ وَالمَرضْ يَردِي؛ لاَ تخَالَط الشِين بَفعَالَه لاَ يْصِيرْ حَالَك مَنْ حَالَهْ؛ مَنْ جَاوَر قَدرَة انطلَىَ بَحمُومهَا وَمَن جَاوَر صَابُون جَاب نقَاه؛ عَندْ الضِّيق يبَان العدُو مَن الصدِيق؛ شَهقَة مَن رِيقِي توَرِينِي عدُوَي وَصدِيقِي؛ أَعرَف عَربِي تَخسَر بَقرَة؛ اَعرَف مُورُو تَخسَر دُورُوا؛ لِيْ عَينَه لَلعذَاب يْكَثَّرْ لَصْحَابْ؛ اَلبَس قَدَك وتَبَع نَدَّك؛ لاَ تصَادَق حَتَّى تجَرَب؛ جَاوَر لَجوَاد) تليها متون أخرى للتبرير تصنف وتصف مواضيع المسموح، المحرم والطابو؛ إذن الغاية هي خلق وضعيات متكافئة ومسافات على علاقة بالاجتماعي (هندسة الاتفاق الجمعي من خلال اللغة). المتون تعمل أيضا على التعيين والتحديد، تعيين من ينتمون إلى ‘‘الأنا’’ ومن ينتمون إلى ‘‘الآخر’’ وتشير بوضوح إلى المقام والوضعية الاجتماعية، الغاية منها تبرير أشكال التفاوت في المكانة والسلطة (مثلا: الكْبِيرْ كْبْيرْ؛ لِيْ فَاتَكْ بْلِيْلَةْ فَاتَكْ بْحْيْلَةْ، تَعْيَاْ العَيْنْ تَكْبَرْ وَالحَاجَبْ فُوقْهَاْ)، كل متتالية في المتن تعمل على دعم وتبرير المتتالية اللاحقة لها، بناء على مبدأ الاقتران بين السلوك الحالي والموافق السابقة التي كانت سبب في إنتاج الحكم والمتن أول مرة. وهو إرجاعها إلى مصدر موثوق لإكسابها الشرعية. مثل إرجاع المتن إلى ولي صالح "ينظر إليه بتبجيل فهو قادر على الاستبصار، وله القدرة على معرفة التغيرات المستقبلية (الاستشراف) وهو على علاقة بمعرفة أصلية نقية أكثر قربا من البدايات الأولى" (كولونا، الصفحات 09–10) فهو يمثل الزمن الأصلي الزمن المثالي الذي يتميز عن الزمن ‘‘هنا الآن’’؛ إن تداول المتن الشفهي عبارة عن إستراتجية يلجأ إليها الأفراد لتعديل السلوك ولضبطه في موقف محددة إذ تعمل اللغة على "التعيين القيمي الداخلي يخضع للتعيين الخارجي من خلال الآخر وللآخر، وكأن مقولة ‘‘أنا بالنسبة لنفسي’’ تذوب في مقولة؛ ‘‘أنا بالنسبة للآخر’’" (باختين، 2017، صفحة 113) يحتاج الأفراد إلى نماذج وإلى اللغة التي تشيعها وتجعل منها معالم يتم الاهتداء بها، ‘‘الأنا’’ تحتاج إلى اللغة كوسيط يمكن من التعرف على الآخر الموجود في الخارج (الواقع).

3- مستويات الغيرية في المتون الشفوية:

تعتبر المشافهة ككل والأساطير بالتحديد كذاكرة مستمرة تساعد على التعريف والوعي بالذوات وبالهوية وهي عبارة عن قالب لغوي يبين مواقف ومكانة ‘‘الأنا’’ بالنسبة لـ‘‘لآخر’’ "الأساطير المؤسسة ذات قيمة كالوثائق التاريخية وهي نتاج لكل الشروط السوسيو–سياسية والثقافية؛ خلقت للتداول ولتكون مسموعة من طرف الآخرين؛ على الرغم من أنها تتجنب الدخول في زمن ومكان صريح محدد تدور أحداثها في زمن أسطوري، فالأفراد المتداولون للمتن لا يعرفون زمن الحكي إذ نجد العبارات التالية "بَكْرِيْ؛ فِيْ وَاحَدْ الزْمَاْنْ، وَاحَدْ

الخَطْرَةْ..." إلا أنهم يستخدمونها إذ "ينظر إليها على أنها شكل ثقافي اجتماعي" (شابحة، الصفحات 110-112) تستخدم إما لتعديل السلوك أو للإشارة إلى موقف تركز عليه لتعديله أو لتعزيزه، أو لاكتساب الشرعية، مثل القصة التالية التي يتم استدعائها لتبرير السيطرة على المجال الحيوي وامتلاك نطاق جغرافي وامتلاك المكان، قائل المتن يعتقد بأنه ينتمي إلى ولي صالح لذا فسلوكه قويم على عكس الآخر الذي وفد على المكان في وقت قريب جدا وتم إدماجه في التنظيم الاجتماعي:

"أَحْنَا جِيْنَا مِنْ الساقية الحَمْرَاءْ وَسْكَنَّاْ هْنَاْ، جَدْنَاْ عَاوَنْ وَاحَدْ مِنْ أَوْلِيَاءْ الله الصَالِحِينْ، هَذَا الصَالَحْ دْعَا لِيْنَا رَبِيْ وْقَالْ لَوْلَادَهِ هَاذُوْا خَاوَتْكُمْ ومَنهَا رَنَا خَاوَةِ لِلْيُومْ"

إن الأساطير عامة تسعى لترسخ السلوكيات وبناء التوقعات نحو الآخر؛ تساعد على عملية التكيف والاندماج الاجتماعي وتساعد على تبرير المكانة والدور الفعلي والدور المتوقع من الأفراد والكثير من المتون تبين توزيع وتقسيم الأدوار كل هذا للتقليل من درجة الصراع أو جعله مقبولا ومبررا؛ مثل الأمثال التالية؛ (لِيْ نَظْلَكْ مَنْ بْلاَصةْ نُوْضْلَهْ مَنْ زُوْجْ؛ أَنَاْ نْقُوْلَكْ سِيْدِيْ وَنْتَاَ تَعْرَفْ قَدْرِيْ، بُوسْ الكَلبْ فِيْ فُمَهْ وَقْضِيْ صْوَالْحَكْ مَنَهْ، لِيْ تْزَوَج أُمــاْ هَذَكْ أُبــاْ...الخ) ومن المتون المستخدمة في تبرير المكانات نجد (المْرَا إِمَاْ دَارْهَا إِمَاْ قْبَرْهَاْ؛ الكَلبْ كَلبْ وَلَوْ يْعَلْقُولُوْا قْلاَدَةْ ذْهَبْ؛ إِذَا تفَاتنُوا الرَّحَايَا اَحفَظ دقِيقَك، العود لي تحقره يعميك...الخ) وتجسد القصة التالية والمتداولة لدى عامة أفراد المجتمع المحلي طرق إدارة الصراع الموجود أو الممكن داخل النسق:

"فِيْ وَحَدْ المَرَةْ عَبدْ الرَحْمَنْ المَجْذُوبْ عَجْبَاتَهْ حَجْرَةْ-بْلاَصَةْ حْذَاْ عَينْ، بْغَاْ يْجَمَعْ فُوقْهَاْ جَاهْ رَاجَلْ قْوِيْ نَوْضَهْ مَنْهَاْ وَبْغَاْ يُضْرُبَهْ، نَزَلْ المَجْذُوبْ مَنْهَاْ، وْبَعْدَهْ عْلَىْ الحَجْرَةْ، وْبَعْدْ وَقْتْ، جَاءْ رَاجَلْ قْوِيْ عْلَىْ الرَاجَلْ الأول وَبْغَاْ يْنَزْلَهْ مَنْ الحَجْرَةْ تْفَاتْنُوْا مْعَ بَعْضْ، وَضْرَبْ وَاحَدْ لاَخَرْ حَتَىْ قْتْلَهْ وَهْرَبْ؛ ثَمَةْ رْجَعْ المَجْذُوبْ لِلْحَجْرَةْ وْقَالْ؛ لاَ غَالَبْ لاَ مَغْلُوبْ وَأَبَرْدِيْ يَاْ الحَجْرَةْ لِلْمَجْذُوبْ، لَوْ جِيتْ غَالَبْ، لَكُنتْ هَارَبْ وْلَوْ جِيتْ مَغْلُوبْ رَانِيْ مَكْبُوبْ"

من جانب آخر تسهم المتون في صناعة الفوارق وتنميتها لخلق التمايز والنزوع إلى النفي عند فشل في استيعاب الآخر، لذا يلجأ المنتج للمتن إلى إنتاج قوالب لغوية غنية بعبارات مثل (أَحْنَا شُرْفَةْ؛ أحنا أَوْلادْ وَلِيْ صَالَحْ، وْلاَدْ البْلادْ) يستند الأفراد إلى أساطير التأسيس للتبرير؛ هذه الأخيرة ترتبط بالهوية وهي غنية بالنعوت والإحالات، تحاول المتون التأسيس للمرجعية الجغرافية، والاجتماعية، لتحولها إلى مسلمة ترتبط بالقيم والأخلاق تُعرِفْ بالهوية، هوية ''الأنا'' و''الآخر'' هذا الأخير ينتج أيضا متون تعتبر كرد فعل، من خلال المتون الشفوية يمكن "إقامة سلطة، تعويض تجربة حالية بتجربة تاريخية أخرى وبذلك يتم إنتاج نصوص جديدة الغاية

منها تقويض كل ما سبق (النقد وتبيان ثغرات النظام) لوضع حد لنفوذ مقولات الهيمنة" (كولونا، الصفحات 09-10) نحن أمام لغة وقوالب شفوية وهويات تتحول إلى هويات لغوية متضادة هشة، مؤقتة قائمة على المفارقة والمغايرة للآخر ولعاداته وقيمه؛ لذا فالحكي عن ‘‘الأنا’’ و‘‘الآخر’’ يعتبر كطقس موجه، متكرر، دائم ذو غاية، الهدف منه التعالي على الآخر إذ ينظر مثلا إلى قصص المناقب على أنها طقس للاحتفاء بالجد المؤسس تم إيجاده لانتزاع لاعتراف بـ‘‘الأنا’’ وللتأسيس للغيرية وللفوارق وتكريس للتراتبية، نحن أمام "تأسيس للهوية المشتركة لغويا تحت إكراه اختلافات" (أوجيه، 2016، صفحة 82) تتعرض هذه المتون للانتقاد وينظر إليها على أنها نسبية من طرف الآخرين غير المشاركين فيها، فهم ينتجون متون أخرى مضادة، نحن أمام محاولة بناء وهدم من خلال اللغة والغاية التعبير عن الاجتماعي؛ وهو ما تجسده مجموعة من الأمثال يحاول متداولوها جعل العلاقات متمحورة حول ‘‘الأنا’’ تعرف بـ‘‘الآخر’’ تعطي أولوية للذات والجماعة الاجتماعية المنتمى إليها دمويا نستعرضها مجملة كالتالية: " زِيتنَا فِي بِيتنَا؛ السلاَلَة سلاَلَة وَالعَرق جَبَّاد، التحذير من الخوض في علاقات متعددة؛ خالَط الفحَام تنَال الحمُوم وخَالَط العَطَار تنَال الشمُوم خَالَط السُلطَان تنَال الهمُوم). ومنها متون شفوية أخرى تربط بين السلطة ومفاهيم محلية مثل ‘‘دَعْوَةْ الـخَيْرْ؛ دَعْوَةْ الَـشَرْ’’ الغاية دوما تبرير السلطة وجعلها مطلقة، إمتدادية، وأي فشل في السلوك وفي الامتثال للنموذج يجعلهم عرضة لـ‘‘اللعن ويمكن أن لا يحصلوا على "بَرَكَةْ" الأكبر سنا’’ مما يعطي قوة لمكانة الجد، الأب، الأم والأكبر سنا، بحيث يتم التعامل معهم باحترام عن بعد وفق قانون ‘‘القمنة’’ وهو ما تجسده الأمثال التالية؛ (يَاْ طَايَع وَالدِية كُلَش يجِيه، العَز بَعد الوَالدِين حرَام، تَعَيا العَين تَكبَر وَالحَاجَب فُوقهَا وفي حلات نجد نقد للوقت الراهن بحيث تساوت أشكال السلطة وتراجعت سلطة الأكبر سنا لصالح الأبناء الذين يسهمون في إعالة العائلة اقتصاديا وينظر إليهم على أنهم منافسين للأكبر سنا تْقَاْدُوْ لَكْتَاْفْ وْوَلَىْ الكْبِيْرْ يْخَاْفْ).

4- الشفويات والتنشئة الدينية:

تبين المتون الشفوية المقدس وتجعله يعارض بشكل كامل المدنس "فالمقدس لا يلتقي بالمدنس ولا يلامسه إلا لكي ينتفي أحدهما ويظل الآخر قائما، كل طرف يوصف بأنه نظام خالص متعارض وموازي للطرف الآخر" (الزاهي، المقدس والمجتمع ، 2011، صفحة 33) يحيل الأول لقيم الطهارة الصبر، التدين، الالتزام ويشير المدنس إلى النجاسة، الدنيوي الخيانة وعدم التدين، في كل القصص والحكايات التي يرددها الأفراد لا يستطيع كل من المقدس والمدنس التعايش معا فهما متعارضان يهدم أحدهما الآخر، "بما أن الإنسان المتدين لا يستطيع العيش إلا في مناخ مشبع بالقداسة، فإنه يجب عليه انتظار عدد من التقنيات لتكريس المكان فالمقدس مصدر

حياة وخصب" (إلياد، 1988، صفحة 30) تسهم ‘‘الكلمة’’ في التعريف بالمقدس والمدنس، مثلا من خلال قصص المناقب وقصص الصُلحَاءْ تبين أن أولياء الله مثلا كانو أشخاص عاديين منخرطين في اليومي–الدنيوي إلا أنهم ارتبطوا بنماذج وفاعلين آخرين ينتمون إلى مجال المقدس لهذا يتم استدعاء تجاربهم السابقة لنا في الوجود إذ أنها تجارب وثوقية تجمع بين التاريخ، الواقع والمتخيل، تستدعى لإعطاء صبغة نموذجية على السلوك ولخلق نمط تدين مبني على قيم تاريخية، نحن أمام "أشكال لغوية ومشاهد تكرارية تحيينية للحظات أصلية سابقة" (الزاهي، المقدس والمجتمع ، 2011، صفحة 77) ينظر إلى المتون الشفهية على أنها آلية للتحيين ومناسبة للرجوع إلى الزمن الأصلي؛ زمن التأسيس، إن الحكي عن ‘‘الولي الصالح’’ الذي تنتمي إليه الجماعة الاجتماعية وتعتبره ‘‘أبا أصليا’’ عبارة عن استرجاع واستحضار انتقائي رمزي للأحداث التاريخية، في شكل مشهدي درامي الغاية منه إنتاج نماذج للاقتداء والتماهي، يتم تعليمها للأفراد منذ لحظات الطفولة الأولى. إن تداول المتن الشفهي يزود الأفراد بتفسيرات ورؤية عن الواقع وعن نظام المحرمات ويوفر لهم قاعدة تفسيرية، يعتقدون أنها دينية على علاقة بالقيم والسلوك، تساعدهم على بناء تصنيفات معيارية يميزون فيها بين المباح والمحرم، وبين المندوب والمكروه، ويؤسسون لهوية الجماعة ولتصوراتها عن الكون الأنا والآخر مثلا في المجتمع المحلي نجد تكرار للقصة التالية أو لجزء منها:

"حْنَاْ شُرْفَةْ، جَدْنَاْ وَلِيْ صَالَحْ تْعَاهَدْ مْعَ وَلِيْ صَالَحْ عْلَىْ الأخُوَةْ؛ وَعْلَىْ هَذَاْ حْنَاْ مَاْ نتاَجْرُوْشْ مْعَ بَعَضْنَاْ، وْمَاْ نَتْنَاسْبُوْشْ، وَلِيْ يْخُوْنْ العَهْدْ يَنْدَمْ؛ بَزَافْ مَنْ عَرْشْنَاْ تْزَوْجُوْا مَنْ العَرْشْ لاَخُرْ إِمَاْ مَاتُوْ إِمَاْ مَتَصْدَقْشْ لِيْهُمْ الذَرِيَةْ، حْنَاْ خَاوَةْ مَن العَهْد لِـيْ دَاْرَهْ جَدْنَاْ مْعَ جَدْهُمْ"

إذن فالمتن الشفهي السابق ليس نص جامد بل هو من بين إحدى الوسائل التي يمكن من خلالها التدخل في الواقع المعاش وفي الاجتماعي بغية تشكيله إعادة التعريف به وبشبكة العلاقات الاجتماعية وموقع الـ‘‘النحن’’ والآخر، يقيم المتن تصنيفات للجماعات وللأفراد بحيث يتم عزل بعضها عن البعض الآخر لخلق تمايز في الأصل، الانتماء والتراتبية المكانة والدور، المدونة الشفوية تسعى إلى بناء تصور مؤسس على التمايز والتعارض بين الأعلى والأسفل، اليمين واليسار، للتأسيس لنظامين متعارضين ولجماعات متمايزة لكل منها سلوكياته، إذ ينظر إلى السلوك غير السوي على أنه تهديد تخريب للنظام الاجتماعي والسياسي، ويعتبر بعض السلوكيات كعنصر خطر يهدد بتقويض الاجتماعي وديمومة بقائه، فيما يمثل التماهي مع السلوك إنقاذا للنظام والمجتمع.

5- لماذا تتم التنشئة الدينية من خلال الكلمة؟

ترتبط المتون الشفهية بمخيلة جماعية يتم استحضارها لتشكل "مظلة حماية متخيلة تعيد التوازن والطمأنينة الروحية والنفسية" " (الدين:، 2015، صفحة 34) للأفراد، إن الاعتماد على الحكي والقصص كتاريخ موثوق يعتبر كطريقة تساعد على تحقيق إشباع معين وتساعد على إعادة التكيف والتوازن، مع المحيط كما أن المتون تضمن لطائفة المؤمنين بها وجود خلاص سحري من خلال ''الكلمة''؛ فمن خلال الحكي يمكن نكران الواقع وبناء واقع لغوي جديد مفارق، أي أنه يمكن أن نعتبر تداولية المتن كوظيفة تعويضية وتفريجية. يتم قبولها واستبطانها وتبقى على شكل رواسب "كثيفة في قعر اللاوعي الفردي إبان مرحلة الطفولة. يساعد الفلكلور كعنصر نشط في إعداد الإنسان لقبول التصوف–نمط التدين– ونتائجه" (زيعور، 1984، صفحة 38) عبر الأمثال القصص الخرافات والأساطير التي تستخدم كأسلوب للتربية.

الراجح أن الغاية من المتون صناعة نماذج سلوكية فانتقال البطل في الحكي عبر مراحل محكوم بعوائق وهو عبارة عن عملية تنطوي على مخاطر (نفسية ومادية)، يشبه الانتقال في العالم الواقعي الحقيقي لذا فالغاية من المتن الشفهي –الحكي– التنبيه، التحذير ومحاولة تحويل السلوكيات إلى سلوكيات مثالية. ففي قصص المناقب وقصص الصالحين تضع المتون الشفهية الصلاح في مقابل الفساد وتسعى لحث الأفراد على التدين نجد مثلا (الحث على التدين القَبْلَةْ بْلاَ كْرَا وَالمَا بْلاَ شْرَا) إن تكاثر الحكي عن الصُلَحَاءْ بالوسط المحلي يعبر عن حضورهم الرمزي ضمن اللغة، والهدف تقديم نموذج سلوكي قائم على صلاح السلوك؛ "إننا حينما نحاول أن ننظر إلى الصالح كذات، لا نجد سوى صورة (Figure) أو شكل مركب من عناصر تاريخية، ميثولوجية وفلكلورية" (الزاهي، بركة السلطان، 2007، صفحة 50) في المتن الشفهي تتمحور مهامهم –أي الصلحاء– تدبير الشأن الديني وإصلاح المجتمع والخروج به من وضعية الفساد إلى وضعية الصلاح؛ وسرد قصصهم الغاية منه الاقتداء بهم وبسلوكهم، نجد إيمان مثلا بالقصة التالية: "سِيْدِيْ (فلان) دَارْ العَرْشْ كَامِلْ فِيْ قَصْبَةْ (أي نبتة)، بَاْهْ يَتْسَقْمُوْا؛ وْبَلَعْ عْلِيْهُمْ قَرْنْ، وْمَنْ بَعْدْ جْبَدْهُمْ لْقَاْهُمْ عُوْجْ"؛ تلجأ الجماعات الاجتماعية إلى المتن الشفوي والشرعية الدينية لتدعيم السلوكيات، يتم استدعاء متون للفاعل الديني التاريخي لزيادة القدرة على التأثير والتعبئة والإقناع لإنتاج نموذج سلوكي موازي ومفارق لكل النماذج حتى الحداثية منها. "رغبة فالإنسان المتدين يرغب في الرجوع دوريا للوراء، ويجتهد لتملك تلك الحالة الأسطورية، تلك التي كانت في البدء، إن مثل هذا الحنين يقود حتميا للتكرار المستمر لعدد محدود من الإشارات والتصرفات؛ ''العود الأبدي'' والحنين لحالة ''فردوسية–جنينية''" (إلياد، 1988، صفحة 72) أي أن استدعاء المتن ''الآن'' لإبراز التجربة، التجربة التاريخية التي تعتبر كرحلة في اتجاهات ثلاثة؛ "رحلة في أعماق الذات، رحلة في المجال، ورحلة في المخيال الجماعي للمجتمع؛ تبتدئ الرحلة من أعماق الذات وفي مسالكها، نحو الصلاح والولاية والمعرفة هي رحلة

صعود روحي تقطع فيها الذات المنازل والمقامات والأحوال" (بوريقة، 2000 ، الصفحات 66–67) لتصل في الأخير إلى مرحلة ‘‘التسليك؛ التخلية والتحلية’’ إي اكتساب نفس سلوك الولي الصالح؛ بعبارة أخرى "إنها رحلة الأحوال والمقامات ولا يمكن الوصول إلى أحد المقامات إلا بعد المرور عبر عدد من الأحوال والأحوال هي حالات عابرة يعيشها المتدين في لحظة، إنه سفر للعودة إلى ذات مطهرة؛ يتحقق كل هذا بالانقطاع اللازم عن الاجتماعي والدنيوي، إنه انقطاع لا يسمح بالعودة إلى ‘‘الأنانية’’" (بوريقة، 2000 ، صفحة 69) في كل المتون ذات الصبغة الدينية الغاية هي تنشئة الأفراد على نماذج سلوكية تاريخية إذ يتم تقديس الماضي وتجاربه، "إن تقديس الماضي يجعله يكتسحنا في الحاضر ويجعل الحاضر يعيش كماضٍ" (بوريقة، 2000 ، صفحة 06) بنية المجتمع المحلي لازالت متأثر بالصُلَحَاءْ الذين أقروا نمط تدين شعبي يتميز بطابع الخوارق والزعامة؛ الاقتداء بهم يمكن من ولوج عالم الصلاح، الصُلَحَاءْ بقصصهم وسلوكياتهم حولوا المجال الديني إلى مجال مفتوح أمام كل الأفراد، الوصول إلى منزلتهم مشروط فقط بامتلاك قيم مثل؛ الورع والزهد والإيمان والتضحية. مكانتهم يصل إليها من يلتزمة بالأمثال التالية: (لِي زَكَاْ وْصَلَىْ مْكَانَهْ فِيْ الجَنَىْ، المُومَنْ تَابَعْ مَشِيْ بَادَعْ، الدِيْنْ بِينْ النْخُرصْ وَالدْلالْ مَشِيْ فِيْ شْقُوفْ الجْبَالْ؛ لِيْ دَارْ شِيخَهْ كْتَابَهْ كْتَرْ خْطَأَهْ وْقَلْ صْوَابَهْ؛ إلى مَا عَلمَك لاَ فَرضَ ولاَ سُنَّة غِير بَعدَه (دفع) وَتهَنَّة؛ اللاَّزمَة تشَد الحصَان كِي الدِّين (الصلاة) تشَد الإنِسَان؛ إِذَا تخَلطَت لَديَان غِير رجَع لَلدِين الأَوَل) الغاية من الأمثال السابقة والقصص والأساطير "التأسيس لشرعية إيديولوجية دينية قادرة على المحافظة على النسق(...)ومقاومة محاولات تفجير النسق من الداخل، ضمان التبرير الإيديولوجي لكل القرارات والأفعال" (الزاهي، بركة السلطان، 2007، الصفحات 34–35) الحث على التماهي مع سلوك الصالح لإكساب الأفعال شرعية ومقبولية "هذه الشرعية متأتية من أن معرفة كلام الله تحول الفرد إلى مالك لرأسمال رمزي ولسلطة رمزية" (الزاهي، بركة السلطان، 2007، صفحة 55) يرى مارسيل موس أننا حين نتكلم فنحن نفعل شيئا أو أشياء، والكلمة في حد ذاتها لها قيمة وقدرة إستدعائية (موس، يناير 2017، صفحة 09) يقول أستن: "يستخدم (الملفوظ) لتنفيذ إجراء. ووضع الملفوظ في صيغة معينة، هو قيام بفعل قد يستحيل القيم به مطلقا، بأي طريقة أخرى الكلمات ترفق بإشارات حول المكان والزمان والأسماء، وهي عبارة عن حدث لأنها تخلق الحدث (موس، يناير 2017، صفحة 10) فاستدعاء قصة الصالح والمتدين هو استدعاء لنماذج سلوكية للاقتداء بها.

المتون الشفهية عبارة عن ظاهرة اجتماعية لا يمكن تصورها خارج وجود الأفراد الذين ينطقون بها وهي متحققة كموضوعات ذهنية، لها وجودها الاجتماعي خارج الإرادة الفردية، فهي تخضع لنمط تعاقدي جماعي، كل ما ينتجه الأفراد من قوالب لغوية وبمجرد أن يدخل حيز التداول العام فإنه يتحول إلى خطاب مؤسس ويكف

عن كونه فرديا فقد تم تبنيه من طرف شرائح واسعة ليعبر عنها وعن تمثلاتها؛ لأنها استوفت شروط العمل الأدبي شكلا ومضونا وارتبطت باحتياجات الجماعات الاجتماعية، كما أنها تتحول إلى سلطة لأن منتجيها لهم سلطة دينية–اجتماعية في الغالب فهم ليسوا أشخاص عاديين. حسب ارنست كاسيير فالكلام أو "الصوت الكلامي يسعى إلى "التعبير" عن حدث ذاتي وموضوعي، أي عن العالم " (كاسيير، 2009، صفحة 28) هي عبارة عن خطاب ذو جوى استعمالية؛ له القدرة على التعيين والتحديد، فـ''الكلمة'' حسبه "نطق إنفعالي ونطق تعييني." (كاسيير، 2009، صفحة 72).

المتن الذي يتم استدعاءه في الغالب يعمل على تعين وتحديد السلوكيات السوية وغير السوية وفصلها عن بعضها من خلال الحكي والتأسيس للمعتقدات والعادات "إن الهدف من اتخاذ معتقد أو تصور لا يقتصر على طمأنة الذات، بل يتضمن كذلك طمأنة الغير، مع تحديد دائرة الأفكار والمواقف غير قابلة للجدل" (ليليا بنسالم، إرنست كلنير، عبد الله الحمودي وآخرون، 1988)

4- خاتمة:

الشفويات وسيلة للتعبير عن المجتمع وهي جزء من الواقع رغم ارتباطها بالخيال والخرافة لكن الواقع يثبت بما لا يدع مجال للشك أن الأفراد يؤمنون بها ويتأثرون بمضمونها ينقلونها ويورثها للأجيال، ومن خلالها يتم خلق ما يسمي بالتلائم والتفاهم حول مفاهيم محددة داخل إطار جغرافي محدد إذ يتقاسمون نفس المتون والرموز فهم يشتركون في نفس الايدولوجيا كل هذا للقضاء والتقليل من أشكال التناقض ويضمن استمرارية النظام الاجتماعي وقيمه، حتى ولو تغير الجانب. تلعب اللغة دور الإطار الذي يسمح بنشر القيم وتحقيق الأهداف المشتركة، يسعى المتداولون للمتون للبحث عن مبررات موضوعية وتفسيرات تساعدهم على فهم الواقع، اللغة في الوسط المحلي تعبر عن السلطة وترتبط بها (تعمل من جهة على نشرها ومن جهة أخرى على مركزتها أو الحد من مطلقيتها) ربط الأفراد بتجارب موحدة بعيدة عن التنافر والتعارض نلاحظ دوما أن الأفراد يستحضرون القوالب اللغوية لرغبتهم في عدم التخلي عن التجربة الماضية وخشيتهم من الدخول إلى خبرات وتجارب جديدة يحاولون التأقلم معها.(اللغة الشفوية هي عبارة عن أوضاع تاريخية متغيرة تم صياغتها لغويا) نابعة من التجربة العامة (لوجود هذا السياق الجدلي)

تسعى المتون إلى توضيح عمل المؤسسات ونمط اشتغالها وتربطها بالتنظيم الاجتماعي والسلطة فهي لا تكف عن الإشارة إلى (الفاعلين الاجتماعيين على اختلافهم كالشيوخ والمتدينين الشطار وحتى عامة الناس) عرفت المتون اللغوية تحولا بارزا خاصة مع تراجع المؤسسات والفاعلين لصالح فاعلين جدد لا يؤمنون بأحادية التجربة والسلوك.

تتميز المتون بالثبات، التكرار، الديمومة والاستمرارية ينظر إليها على أنها عقلانية فالمتون تحاول أن تفرض الهيمنة وتوجها اكتسب الشرعية لأنها تربط الجماعات الحالية ‘‘هنا الآن’’ بفاعل أو مرجع محوري كاريزما محلية وهي في تعاملها مع الجماعة تراعي مبدأ الوحدانية (الأخر هو الأنا معمما) هي عبارة عن محاولة متجددة لخلق وعي موحد (نفس السلوكيات، الأهداف، الغايات نفس القيم) فالمتون على اختلافها تتجلى كمقولات للوحدة والتجانس.

– المراجع:

أحمد زين الدين:. (2015). الحداثة ويقظة المقدس أنماط وسلوكيات وأفكار. بيروت لبنان: بيسان للنشر والتوزيع.

ارنست كاسيير. (2009). اللغة والأسطورة. أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة: ترجمة سعيد الغانمي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

أليساندرو دورانتي. (2013). الأنثروبولوجيا والألسنية، ترجمة؛ فرانك درويش، مرجعة، قاسم البريسم،. لبنان: ترجمة؛ فرانك درويش، مرجعة، قاسم البريسم، إعداد المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية لبنان، الطبعة الأولى.

بداك شابحة. الممارسات السحرية للمجتمع القبائلي. الجزائر: منشورات دار السعادة.

جان كوهن. (يناير 2013). الكلام السامي نظرية في الشعرية. بيروت لبنان: ترجمة محمد الولي دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى.

رحمة بوريقة. (2000). رحلة التصوف سيد أحمد البدوي، من فاس إلى طنطا" من كتاب؛ التواصل الصوفي بين المغرب ومصر. المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، سلسلة ندوات رقم 9.

سعد سرحت. (2017). الأنثروبولوجيا والسيمياء، مقاربات أنثروبولوجية تأويلية في ثلاثة نصوص ثقافية اجتماعية. بغداد، العراق : منشورات نون، نون للطباعة النشر والتوزيع.

علي زيعور. (1984). الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللاواعي في الذات العربية، التحليل النفسي والإناسي للذات العربية. بيروت لبنان: دار الأندلس، للطابعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

فاني كولونا. آيات الصمود؛ الثوابت والمتغيرات الدينية في الحزائر المعاصرة. ترجمة: لطيف فرج، دار العالم الثالث.

ليليا بنسالم، إرنست كلنير، عبد الله الحمودي وآخرون. (1988). الأنثروبولوجيا والتاريخ (حالة المغرب العربي). الدار البيضاء المغرب: ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال.

مارسيل موس. (يناير 2017). الصلاة بحث في سوسيولوجيا الصلاة. بيروت لبنان: ترجمة محمد الحاج سالم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، توزيع دار المدار الإسلامي.

مارك أوجيه. (2016). أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة. وهران– الجزائر: ترجمة، طواهري ميلود، ابن النديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية.

مرسيا إلياد. (1988). المقدس والمدنس. ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع.

ميخائيل باختين. (2017). النظرية الجمالية، المؤلف والبطل في الفعل الجمالي؛ رؤية موسوعية فلسفية جمالية سيكولوجية. ترجمة عقبة زيدان، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

نور الدين الزاهي. (2011). المقدس والمجتمع . الدار البيضاء، المغرب: إفريقيا الشرق.

نور الدين الزاهي. (2007). بركة السلطان. الرباط، المغرب: دفاتر وجهة نظر العدد 12، مطبعة النجاح الجديدة .